@ 539 @ فاحمدوه . وقوله : ! 2 2 ! أي : ليس المقصود منها ، ذبحها فقط . ولا ينال ا من لحومها ، ولا دمائها شيء ، لكونه الغني الحميد ، وإنما يناله الإخلاص فيها ، والاحتساب ، والنية الصالحة ، ولهذا قال : ! 2 2 ! . ففي هذا ، حث وترغيب على الإخلاص في النحر ، وأن يكون القصد وجه ا وحده ، لا فخرا ، ولا رياء ، ولا سمعة ، ولا مجرد عادة ، وهكذا سائر العبادات ، إن لم يقترن بها الإخلاص ، وتقوى ا ، كان كالقشر الذي لا لب فيه ، والجسد ، الذي لا روح فيه . ! 2 2 ! أي : تعظموه وتجلوه . ! 2 2 ! أي : مقابلة لهدايته إياكم ، فإنه يستحق أكمل الثناء وأجل الحمد ، وأعلى التعظيم . ! 2 2 ! بعبادة ا بأن يعبدوا ا ، كأنهم يرونه ، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة ، فليعبدوه ، معتقدين وقت عبادتهم ، اطلاعه عليهم ، ورؤيته إياهم . والمحسنين لعباد ا ، بجميع وجوه الإحسان من نفع مال ، أو علم ، أو جاه ، أو نصح ، أو أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو كلمة طيبة ونحو ذلك . فالمحسنون ، لهم البشارة من ا ، بسعادة الدنيا والآخرة وسيحسن ا إليهم ، كما أحسنوا في عبادته ولعباده ! 22 ! ! 2 2 ! . ! 2 2 ! هذا إخبار ، ووعد ، وبشارة من ا ، للذين آمنوا ، أن ا يدفع عنهم كل مكروه . ويدفع عنهم بسبب إيمانهم كل شر من شرور الكفار ، وشرور وسوسة الشيطان ، وشرور أنفسهم ، وسيئات أعمالهم ويحمل عنهم عند نزول المكاره ، ما لا يتحملون ، فيخفف عنهم غاية التخفيف . كل مؤمن ، له من هذه المدافعة والفضيلة ، بحسب إيمانه ، فمستقل ، ومستكثر . ! 2 2 ! أي : خائن في أمانته ، التي حمله ا إياها ، فيبخس حقوق ا عليها ، ويخونها ، ويخون الخلق . ! 2 2 ! لنعم ا ، يوالي ا عليه الإحسان ، ويتوالى منه الكفر والعصيان . فهذا لا يحبه ا ، بل يبغضه ويمقته ، وسيجازيه على كفره وخيانته ، ومفهوم الآية ، أن ا يحب كل أمين قائم بأمانته ، شكور لمولاه . ^ (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن ا على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا ا ولولا دفع ا الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم ا كثيرا ولينصرن ا من ينصره إن ا لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزك اة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر و عاقبة الأمور) ^ كان المسلمون في أول الإسلام ، ممنوعين من قتال الكفار ، ومأمورين بالصبر عليهم ، لحكمة إلهية . فلما هاجروا إلى المدينة ، وأوذوا ، وحصل لهم منعة وقوة ، أذن لهم بالقتال ، كما قال تعالى : ! 2 2 ! يفهم منه أنهم كانوا قبل ممنوعين ، فأذن ا لهم بقتال الذين يقاتلونهم ، وإنما أذن لهم ، لأنهم ظلموا ،

بمنعهم من دينهم ، وأذيتهم عليه ، وإخراجهم من ديارهم . ! 2 2 ! فليستنصروه ، وليستعينوا به . ثم ذكر صفة ظلمهم فقال : ! 2 2 ! أي : ألجؤوا إلى الخروج ، بالأذية والفتنة ! 2 2 ! أن ذنبهم الذي نقم منهم أعداؤهم ! 2 2 ! أي : إلا لأنهم وحدوا ا ، وعبدوه مخلصين له الدين ، فإن كان هذا ذنبا ، فهو ذنبهم كقوله تعالى : ! 2 2 ! . وهذا يدل على حكمة الجهاد ، فإن المقصود منه ، إقامة دين ا ، أو ذب الكفار المؤذين للمؤمنين ، البادئين لهم بالاعتداء ، عن ظلمهم ، واعتدائهم ، والتمكن من عبادة ا ، وإقامة الشرائع الظاهرة . ولهذا قال : ! 2 2 ! فيدفع ا بالمجاهدين في سبيله ، ضرر الكافرين . ! 2 2 ! أي : لهدمت هذه المعابد الكبار ، لطوائف أهل الكتاب ، معابد اليهود ، والنصارى ، والمساجد للمسلمين . ! 2 2 ! أي : في هذه المعابد ! 2 2 ! تقام فيها الصلوات ، وتتلى فيها كتب ا ، ويذكر فيها ، اسم ا ، بأنواع الذكر ، فلولا دفع ا الناس بعضهم ببعض ، لاستولى الكفار على المسلمين ، فخربوا معابدهم ، وفتنوهم عن دينهم ، فدل هذا ، أن الجهاد مشروع ، لأجل دفع الصائل والمؤذي ، ومقصود لغيره . ودل ذلك ، على أن البلدان ، التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة ا ، وعمرت مساجدها ، وأقيمت فيها شعائر الدين كلها ، من فضائل المجاهدين وبركتهم ، فبذلك دفع ا عنها الكافرين قال ا تعالى : ! 2 2 ! . . فإن قلت نرى الآن مساجد المسلمين عامرة لم تخرب ، مع أنها كثير منها إمارة صغيرة ، وحكومة غير منظمة ، مع أنهم لا بد لهم بقتال من جاورهم من الإفرنج . بل نرى المساجد التي تحت ولايتهم وسيطرتهم ، عامرة ، وأهلها آمنون مطمئنون ، مع قدرة ولاتهم ، من الكفار على هدمها وا أخبر أنه لولا دفع ا الناس بعضهم ببعض ، لهدمت هذه المعابد ، ونحن لا نشاهد دفعا . أجيب ، بأن جواب هذا السؤال والاستشكال ، داخل في عموم هذه الآية ، وفرد من أفرادها . فإن من عرف أحوال الدول الآن ونظامها ، وأنها تعتبر كل أمة وجنس ، تحت ولايتها ، وداخل في حكمها ، تعتبره عضوا من أعضاء المملكة ، وجزء من أجزاء الحكومة ، سواء كانت تلك الأمة